

تغلغل الاستعمار الفرنسي في الصحراء ودوافعه الحقيقية

(من الربع الأخير من القرن التاسع عشر إلى النصف الثاني من القرن العشرين)

أ/الصادق دهاش

جامعة الجزائر

ملخص

يتناول الموضوع المطروح للدراسة حقيقة التوسع الإستعماري الفرنسي في اتجاه الصحراء الجزائرية خاصة بعد إكمال سيطرته على الجزء الشمالي. لقد استهوت خيرات الصحراء المعمرين وأسالت لعابهم، فحلم الجميع برسم مستقبلهم الزاهر خاصة بعد اكتشاف البترول سنة 1956 فتعددت المشاريع الإستعمارية في الصحراء منها إنشاء مشروع البحر الداخلي ومشروع الدولة الصحراوية المستقلة، ومشروع شبكة السكك الحديدية ومشروع التجارب النووية. إلى أن كل هذه المشاريع وغيرها تكسرت وتبخرت أمام صمود ومقاومة الشعب الجزائري لها كرجل واحد وخاصة عندما أعلنت فكرة فصل الصحراء عن الشمال في عز ذروة الكفاح المسلح لثورة أول نوفمبر 1954 المجيدة. وهكذا زال الإستعمار الفرنسي من الجزائر وبقيت الجزائر بصحرائها لأهلها تنتظر سواعد أبنائها البررة.

Abstrat

The French colonialism in Algeria extended throughout the whole country even the Sahara, but this was not reached easily because the French faced series of violent confrontation among the Algerians.

The motives of the French to colonise the Algerian Sahara were political, military, economical and commercial.

The French exploited the revenues of the Sahara and they dominated the commercial routs of the Sahara. The French exploited huge sums of money in order to populate the Sahara for their economical benefits.

They used the Algerian Sahara as being a great Interests of raw materials for their factories.

The Sahara was also exploited in the manufacture of weapons as well as the atomic experiments by France with the Israeli co-operations.

France could link her colonies of the Middle and western Africa with those of northern Africa.

The French colonialism of Algeria was not only a political, military or economical exploitation, but it was a religious and a scientific exploitation as well, since they could establish their future strategies. This is why France is considered the first and the only country which tried the atomic bomb in 1960 beyond her geographical hemisphere considering that Algeria can never be a natural extension of France as it was pretended that Algeria is an inseparable part of France.

كان الاستعمار الفرنسي للجزائر استعماراً شاملاً للأرض الجزائرية بكل أبعادها الجغرافية والحضارية، وشاملاً أيضاً للوسيلة، فاستعمل الاستيطان الفرنسي جميع أدوات الإخضاع والعبودية من آلات حربية مدمرة إلى القوانين الجائرة.

تتميز الجزائر طبيعياً عن فرنسا بكبر مساحتها التي تكبرها بحوالي ست مرات وذلك بعمقها الصحراوي الشاسع، هذا الجسم الطبيعي الغريب بتنوعه البيئي استطاعت فرنسا أن تفك ألغاز الصحراء وما تتطوي عليه من مزايا ومصاعب.

ومنذ ذلك الحين أصبحت الصحراء ورقة رابحة استعملتها السلطات الفرنسية وسيلة ضغط وتهديد، ليس على الجزائر فحسب، بل على المستوى الإقليمي وحتى على المستوى العالمي.

نرى ما هي الأسباب الجوهرية لاهتماماتها بالجنوب الجزائري "الصحراء الجزائرية"؟ وما هي الوسائل المختلفة التي وظفتها لإحكام قبضتها على هاته البقعة المقدسة من أرض الجزائر؟ وأخيراً ما حلم فرنسا ومصيره في استغلالها لمشروع "جنات الصحراء الجزائرية"؟

كل هذه الأسئلة نحاول الإجابة عنها بكل موضوعية للوقوف على بصمات فرنسا في هذا الفضاء الطبيعي الصحراوي.

I - الاهتمامات الفرنسية بالصحراء الجزائرية:

ترجع الاهتمامات الفرنسية بالصحراء إلى وقت يعود إلى فترة حكم لويس الرابع عشر (1) الذي كان يطمح للوصول إلى مدينة تمبكتو. (2)

في هذه الفترة كانت فرنسا في أشد الحاجة إلى المواد الأولية التي تتطلبها الثورة الصناعية زيادة على سباقها ضد الساعة للحصول على أسواق إضافية لبيع منتوجاتها الصناعية، واستثمار رؤوس أموالها في مشاريع مضمونة الربح المادي والمعنوي اللذين يعيدان قوة الإمبراطورية الفرنسية خاصة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر عندما تلقت فرنسا ضربة عسكرية وسياسية من قبل ألمانيا التي أعلنت عن وحدتها في قصر المرايا بفرساي في 18 جانفي عام 1871.

إن جميع أنواع الاستعمار الأوربي من رومان وبيزنطيين ووندال احتلوا الجزء الشمالي الساحلي للجزائر ولم يتوغلوا نحو الداخل لاحتلال الصحراء الجزائرية.

ولقد طلب نابليون الثالث (3) من دوفيري (Duveyrier) وهو بغدامس (4): بأن يزوده بمعلومات إضافية عن الصحراء لأنه كان منهمكا في إعداد كتاب عن الصحراء في عهد الرومان (5).

كانت الصحراء الجزائرية إلى غاية النصف الثاني من القرن التاسع عشر من إهتمامات فرنسا الفردية، ومن أسبابها حب المغامرة والتطلع لمعرفة كنز الصحراء مصحوبة بأحلام مبالغ فيها.

حاول الفرنسيون في بداية الأمر كسب ود التوارق وخاصة زعماءهم وأعيانهم، ففي سنة 1855 وجه الحاكم العام الفرنسي بالجزائر دعوة للشيخ عثمان للمجيء إلى الجزائر عن طريق قائد ورقلة سي حمزة، وفي سنة 1858 وجه الشيخ عثمان إلى الجزائر مع المترجم العسكري السيد إسماعيل بوضربة (6) ولم يكن للفرنسيين حقائق ثابتة عن الصحراء الجزائرية، لذلك حاولوا التقرب من سكانها "التوارق" للحصول منهم على معلومات فيما يخص الطرق التجارية ومسالكها وطبيعة سكان المنطقة كل هذا من أجل ضمان عهد أمان مع التوارق.

لذلك اختلفت أغراض المستكشفين والرواد الفرنسيين للصحراء الجزائرية : فمنهم من اندفع وراء المغامرة بحثا عن المجهول، ومنهم من كان هدفه جمع المعلومات العلمية عن طبيعة الصحراء وسكانها، ومنهم من كان يعمل لحساب حكومة أجنبية أخرى تسعى لاكتشاف الطرق التجارية، لكن فريقا آخر كان يهتم فيما يزعم بإنقاذ أرواح الصحراويين من الوبال والعذاب في الآخرة بإدخالهم إلى حضيرة الدين المسيحي (7).

إن أخطر مبشر عرفته الصحراء في هذه الفترة هو "شارل دوفوكول" الذي قطع الصحراء الجزائرية من المغرب إلى الشرق: الأغواط "غرداية"، ورقلة، توقرت، إلى غاية تونس وكانت بداية التوغل في الصحراء مصحوبة بمحاربة الأمير عبد القادر، فاحتلت بسكرة والأغواط لأول مرة عام 1852/1844م.

فعندما ارتكبت فرنسا جرائم بشعة في منطقة القبائل الصغرى في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ثارت ميزاب والحصنة والزبان تضامنا مع إخوانهم هناك.

وهكذا تضامنت الصحراء مع الشمال طيلة 40 سنة، كما سيقع تضامن الشمال مع الجنوب في القرن العشرين عندما حاولت فرنسا فصل الصحراء عن الشمال سنة 1957م، بقرار صدر عن البرلمان الفرنسي.

II - الدوافع السياسية والعسكرية:

إذا كانت الصحاري في معظم الحالات مناطق طرد ونفور لسكان المنطقة للعقبات التي تعترض السير الطبيعي لممارسة نشاطاتهم اليومية وأهمها على الخصوص ندرة المياه والعزلة والحرارة المحرقة، فإن فرنسا قد استهوتها الصحراء الجزائرية وأسالت لعبها وغدت ركيزة أساسية في الإستراتيجية المستقبلية للاستعمار الفرنسي.

لذلك قررت الحكومة الفرنسية في الربع الأخير من القرن التاسع عشر أن تقوم بإجراءات وعمليات توسعية سريعة وشديدة لتقبض قبضتها على الجنوب الجزائري وخاصة الغربي منه وحتى تضمن بسط نفوذها على كامل التراب الجزائري.(8)

كانت لفرنسا مستعمرات في إفريقيا الغربية لتجارة الرقيق وخاصة في السنغال وابتداء من عام 1854م أصبح نفوذ فرنسا قويا بالسينغال.. وأطلق نابليون الثالث العنان للمغامرين الفرنسيين الذين حولوا السنغال إلى مستعمرة حقيقية.. واحتلت القوات العسكرية الفرنسية الممتدة من منابع النيجر إلى تمبكتو بمالي في الفترة الممتدة من عام 1881 إلى 1883م.(9)

عملت فرنسا بكل ما تملك من أجل إبعاد خطر منافسة بريطانيا لها في التوغل والاستعمار داخل الصحراء الجزائرية، لذلك لجأت السلطات الفرنسية إلى إبرام اتفاق فرنسي - إنجليزي يوم 5 أوت 1890م، جعل كل أراضي جنوب الجزائر مناطق نفوذ فرنسي (10).

وهكذا أرادت فرنسا تكوين إمبراطورية استعمارية فرنسية تمتد من شمال إفريقيا إلى غربها مروراً بالصحراء الجزائرية، حتى تكون هذه الأخيرة مركزاً سياسياً وعسكرياً للتحكم الجيد في المنطقتين الإفريقيتين الغربية والشمالية.

إن احتلال فرنسا للصحراء الجزائرية يدخل في حسابات وضعيتها فرنسا في برنامجها التوسعي الاستعماري والمتمثل في محاولة حصار المغرب الأقصى عسكرياً اقتصادياً من ناحية الغرب والجنوب الغربي تمهيداً لاستكمال احتلاله وفرض الحماية عليه بتاريخ 30 مارس 1912م ثم الحماية الإسبانية في منطقة الريف في أشهر قلائل، بعد ذلك التمهيد لابتلاع موريطانيا الذي تم عام 1920م.

1- ردود فعل المقاومة الجزائرية الشعبية

عندما ظهرت الثورات الشعبية الجزائرية في القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين وآخرها ثورة الأوراس عام 1916م كانت بعض هذه الثورات تنطلق من تخوم الصحراء لضرب الفرنسيين في الشمال ومساعدة إخوانهم الثوار في المنطقة التالية مثل ثورة أولاد سيدي الشيخ عام 1864م على رأسها ثورة بوعمامة (1881 - 1904) التي تعتبر ملحمة ثانية بعد ملحمة الأمير عبد القادر. وكان الثوار الجزائريون عندما تضيق بهم السبل ويحاصروهم الاستعمار الفرنسي في المنطقة الشمالية التالية، فإنهم يلجؤون إلى الصحراء بعيدا عن أنظار العدو.

كانت الصحراء الجزائرية عبر مختلف العصور خلفية طبيعية واقتصادية وعسكرية للجزائر مع أعدائها لذلك قرر المستعمر الاستحواذ عليها حتى يتخلص من المقاومة الجزائرية الآتية من الجنوب الجزائري ثم العمل على عزل الشمال عن الجنوب تمهيدا لمشروع الفصل بينهما لاحقا.

فلما أتم القضاء على ثورة الحاج المقراني (1871-1872) وجعل حدا فاصلا لغزو الشمال الجزائري، كانت الصحراء قد بلغت التوغلات الاستعمارية (11).

وقد ساهم جميع سكان الصحراء في هذه الثورة وبالأخص الخليفة السابق للأمير عبد القادر في الزيبان.. وبانت وحدة الصحراء الجزائرية للعيان خلال ثلاثين سنة من الكفاح.. فخمود المقاومة المسلحة الجزائرية في التلال علامة على اكتمال الاحتلال الإستعماري في جميع الصحراء الجزائرية (12). لكن كما هو معروف قتل في الصحراء عدة شخصيات فرنسية مشهورة منها :

. DOURNAUX- DUPERE, ALEXANDRINE TIXNE, FLATTERS

وهكذا وجد المحتل الفرنسي مقاومة جزائرية شعبية منذ الاحتلال إلى غاية مطلع القرن العشرين في جميع مناطق الجزائر بما فيها الصحراء.

لقد اعتقد الفرنسيون خطأ بأنهم سوف يسيطرون على الجزائر خاصة بعد استسلام الأمير عبد القادر للجنرال الفرنسي لاموسير عام 1847م، إلا أنه ثبت لهم عكس ذلك وتأكدوا بأن القضية الجزائرية ليست وفقا على شخص واحد اسمه عبد القادر، بل هي قضية شعب بكامله، لأنها قضية عدالة وشرعية وأن الشعب الجزائري لا يستسلم للعدو الفرنسي في حالتي الحرب والسلام معا.

من الصعوبة بمكان أن نفصل بين الدوافع السياسية والعسكرية والاقتصادية وغيرها عن بقية الدوافع الأخرى، لأن القضية واحدة هي " السيطرة على الصحراء الجزائرية " فالأدوار متكاملة بين الرجل السياسي والرجل العسكري والرجل الاقتصادي والرجل الديني، رغم وجود بعض النظريات الحديثة التي تفضل جهة على جهة أخرى، فمثلا المدرسة السياسية ترى بأن السياسة هي التي توجه الاقتصاد والثقافة وغيرها، وهناك المدرسة الاقتصادية التي ترى عكس في ذلك وتفضل أن يكون الرجل الاقتصادي هو الأصل لكل شيء، فهو محور النشاطات الاقتصادية والخدماتية الأخرى.

كانت فرنسا تنظر إلى الجزائر بأنها ملك لها، ولذلك أرادت نقل فرنسا إلى الجزائر وليس العكس أي نقل المشاريع التي تحتاجها فرنسا إلى الجزائر وصبغ الجزائر بالصبغة الفرنسية أو ما اصطلح عليه باسم "فرنسة الجزائر".

ومن الدوافع العسكرية الفرنسية لاحتلال الصحراء الجزائرية، ربط مستعمراتها في إفريقيا الغربية بمتبيلاتها في شمال إفريقيا، فاستعمرت فرنسا غينيا وساحل العاج عام 1893م والداهومى عام 1894م. ومالي عام 1897م، وكانت فرنسا قد أعلنت ذلك سنة 1881م عن ميلاد اتحاد السودان الغربي.

وللتغلب على قساوة الطبيعة الصحراوية وخاصة الجفاف وندرة المياه، فكرت السلطات الفرنسية في إنشاء بحر داخلي تكون له فوائد بيئية واقتصادية كبيرة.

أما فوائد هذا البحر من الناحية السياسية والعسكرية فإنه يسمح بنقل القوات الفرنسية بسهولة إلى جنوب الجزائر وتونس، ومنع السكان من الثورة ضد السلطة الفرنسية وهي نظرة استعمارية بحتة (13).

وفي عام 1899م سارت قوات فرنسية تريد إخضاع عين صالح، وتيدكالت، وتوات والغرارة، فلم تخط هذه القوات مرحلة من رمال الصحراء وجبالها دون أن تصطدم بمعارك دامية من المقاومة الشعبية، واستمرت المقاومة حتى جعلت الفرنسيين يقررون عام 1902م أن الصحراء لا يمكن أن تحكم إلا حكما عسكريا. (14).

ويقول صونيا هوي أنه بين 6 جانفي 1900م و29 ديسمبر رفع العلم الملون لعين صالح (15).

كان يهم فرنسا في مستعمراتها الاستقرار العسكري والسياسي لضمان الاستنزاف الاقتصادي والبشري كخطوة ثانية، ولكي تتحقق الخطوة الأولى وخاصة في الصحراء الجزائرية كان يتطلب في المقام الأول، تسهيل عمليات تنقل قواتهم الغازية وتيسير ظروف استقرارها في المراكز العسكرية المختلفة.. وتسهيل سبل تموينها(16).

إن الفرد الفرنسي لا يريد أن يعيش في الصحراء كما يعيش أهلها في بساطة وتقصير وشظف العيش، وإنما يريد أن يعيش فيها كما لو أنه يعيش في فرنسا، بمناخها وإدارتها، وطرقها، وعمرانها، إنه لا يريد أن يتأقلم مع الطبيعة كما فعل الرجل الترقى وإنما يريد من الصحراء أن تتأقلم معه.

2- مشروع ربط الشمال بالجنوب بالسكك الحديدية:

إن نظرة الفرنسي للصحراء بمثابة بقرة حلب تدر عليه أرباحا مادامت حية وبكرا وإنها تحتاج منه الرعاية والحماية والإنفاق، أما نظرة الصحراء للفرنسي فإنها تتسم بالحق والكراهية، لأنه ابن عاق لوالديه، ولأنه جسم غريب مزعج، والواجب يقتضي التخلص منه إن أجلا أو عاجلا.

لقد اقترح "كاباني" مشروع خط حديدي، من الجزائر إلى بوسعادة وورقلة على أن يفرع واحد إلى تونس وطرابلس والآخر إلى عين صالح والهقار وذلك منذ عام 1853 وبرز بعد ذلك المهندس أدولف دوبونشيل، واهتم عام 1858 بدراسة المواصلات الحديدية بالصحراء وتأثر كثيرا بالتوسع الاستعماري الإنجليزي، بمد هذه الخطوط الحديدية لربط المستعمرات الفرنسية ببعضها بعض واقترح إقامة خط يمتد إلى الترانسفال في أقصى جنوب القاهرة (17). اقترح الفرنسي DUVERYIER إمكانية إنشاء خط حديدي حيث قال: *Le grand instrument de la civilization c'est la ligne ferree*.

كما كمل دوفيري على تحقيق الحلم المتوقع المتمثل في ربط الجزائر بالسودان الكبير(18)

وألح الضابط باربو (BARBO) على الأهمية العسكرية للخط الحديدي الذي يربط الجزائر بالسنغال والسودان من أجل نقل القوات الفرنسية. وفي عام 1941 أعلنت حكومة فيشي موافقتها على مد السكك الحديدية في الصحراء وحجتها في ذلك ظهورها بمظهر العظمة رغم وخضوعها لشروط هلتير أثناء الحرب العالمية الثانية.

بدأت عداوة الغرب للشرق منذ نجاح الثورة البلشفية في أكتوبر 1917 بروسيا القيصرية والذي يسمى فيما بعد الاتحاد السوفياتي إلى غاية مؤتمر مالطة 1989.

فوقع هلع وفزع من جراء ظهور "طاعون القرن العشرين" (الشيوعية) كما سماه بعض الكتاب الغربيين، فتجمعت أوروبا الغربية ومعها الولايات الأمريكية للتصدي لهذا الخطر.

جاءت الحرب العالمية الثانية فتوحد الشرق (روسيا) والغرب ضد النازية لكن بمجرد انتهاء هذه الحرب توترت العلاقات من جديد بين الغرب بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية والشرق بزعامة الاتحاد السوفياتي فعرفت بالحرب الباردة، فكثرت السباق نحو التسليح وإقامة القواعد والأحلاف العسكرية.

وبات من الأهمية بمكان البحث عن أماكن إستراتيجية لاستعمالها كاحتياط عسكري تحمي فرنسا في حالة هجوم قوات شيوعية أو أي خطر آخر - لأنها ذاقت الخطر الألماني، ثم إن الصحراء فضاء طبيعي أكثر ملائمة للتجارب النووية والعسكرية بصفة عامة لأنه شبه خال من السكان عكس القارة الأوروبية التي تكاد تتفجر من ازدحام السكان كل هذا دفع الاستعمار الفرنسي إلى الاهتمام باحتلال الصحراء الذي يحقق ما يلي :

"احتواء الحركات الثورية في إفريقيا وفي مقدمتها الثورة الجزائرية.. وعلى أن تصبح الصحراء القاعدة العسكرية التي تمنح أوروبا في حالة نشوب حرب عالمية ثالثة، والقاعدة السياسية التي يمارس منها الغرب ضغوطه على الحركات الثورية في إفريقيا" (19).

3- تكوين جمهورية التوارق في الجنوب :

فكان هذا الاتفاق بين الدول الاستعمارية الكبرى في مؤتمر برلين الثاني (1884 - 1885) حيث اتفقت الأطراف المتنازعة بتطبيق قاعدة التشجيع والتراضي على تقسيم القارة الإفريقية، وتعيين مناطق نفوذ لفرنسا وبريطانيا وبلجيكا وألمانيا.

كانت فرنسا ترمي إلى تفكيك المجتمع الجزائري وتقسيمه وذلك بفصل الصحراء عن الشمال وتكوين دولة مستقلة جديدة تضم كل سكان الصحراء التابعة للاحتلال الفرنسي، تضم سكان التوارق وعزلهم عن الوطن الأم، وهكذا يتم تفريغ الصحراء من سكانها وتجميعهم في ناحية حتى تسهل السيطرة عليهم سياسيا وعسكريا.

وهكذا يخلو الجو لفرنسا بأن تقييم مشاريعها النووية، واستغلال خيرات المنطقة المعدنية والطاقوية منها، والاستحواذ على المسالك الكبرى للتجارة الإفريقية.

يؤكد ذلك السيد عواطف بقوله: "كان آخر خطة أمام فرنسا، لفصل الصحراء هو مشروع تكوين جمهورية من التوارق في الصحراء وضمهم إلى بعض السكان النيجر وتشاد ومالي وتكوين جمهورية منهم تتبع فرنسا" (20).

كان المستعمر الفرنسي يستهدف بالدرجة الأولى استغلال الصحراء في الصناعات الحربية الحديثة، فأنشأت عدة مراكز للتجارب الصاروخية في تندوف، والكويفي، وكلومبشار وفي غينيا، ومدغشقر.

كما أنشأت فرنسا "المكتب الإفريقي للدراسات والأشغال الصناعية العسكرية".

يقول محمد المبلي في كتابه "مواقف جزائرية" نقلا عن المجلة العسكرية الفرنسية الصادرة في مارس 1959، وذلك لإعطاء البعد الإستراتيجي العسكري للصحراء جاء فيه:

"إن فرنسا تجد نفسها في وضعية ممتازة من هذه الناحية، ناحية الحاجة إلى الميادين الشاسعة في الحرب الحديثة، نظرا لاتساع الصحراء وقربها النسبي من الوطن الأم، وهذه الوضعية الممتازة من شأنها أن تؤثر تأثيرا كبيرا في تطوير دفاعنا الوطني نظرا لأهمية مشكل الصواريخ وإلى مدى ارتباطه بمبدأ التجارب" (21).

III - الدوافع الاقتصادية والتجارية :

كان المارشال سول، قد بعث بتقرير منذ 1845 إلى الملك "لويس فليب" عن أهداف احتلال الصحراء فقال : " إن الصحراء الجزائرية أو بعبارة أخرى كل المناطق الواقعة جنوبي التل الجزائري يجب أن تشكل نوعا ثالثا من المناطق الإدارية إذ لا يمكن توطين أوربيين في هذه المناطق وحتى الجيش لا يدخلها، إلا بصورة متقاطعة، إما لإقرار الأمن أو لتهيئة الظروف التجارية المناسبة، التي تفتح لنا طرقا هامة نحو إفريقيا السوداء.." (22).

طبق المستعمر الفرنسي عدة أشكال مختلفة للإدارة الاستعمارية في الجزائر وهدفها واحد يتمثل في إذلال وإخضاع المجتمع الجزائري من أجل استنزاف طاقات وخيرات الجزائر المتنوعة بين الشمال والجنوب، لذلك كانت فرنسا تطبق النظام العسكري على الجزائريين منذ الاحتلال إلى الاستقلال وخاصة

في المناطق الجنوبية الصحراوية حيث طبق المستعمر نظام البلديات العسكرية الذي يسير عن طريق القائد الفرنسي وعدد من العسكريين والقياد.

أما المنطقة الشمالية، فطبق فيها نوعان من أنواع الإدارة الاستعمارية: الأولى البلديات الكاملة الصلاحيات، وهي البلديات التي تقطنها أكثرية أوربية وأقلية جزائرية وأما النوع الثاني فهي البلديات المختلطة، التي تسكنها أكثرية جزائرية وأقلية أوربية، بلغ عددها 78 بلدية إلى غاية نهاية القرن التاسع عشر، أما النوع الأول فكان مجموع بلدياته 296 بلدية، ونلاحظ هنا كيف أن الأكثرية الجزائرية تعيش في ضيق وغبن أمام الأقلية الأوربية التي تعيش في أحسن الأحوال.

زد على ذلك أن الجزائريين كانوا محرومين من أي تمثيل بلدي أو ولائي أو حتى نيابي إلا بنسب ضعيفة جدا.

1- أهمية الصحراء إكانتيتها التجارية :

وحسب السيد سول، فإن الصحراء في هذه الفترة على الأقل غير قابلة للتوطين الأوربي نظرا لقساوة مناخها، وبالتالي يمكن اعتبارها أهم مركز للبحث عن الأسواق التجارية الرابطة بين الصحراء والشمال الإفريقي من جهة والصحراء الجزائرية وإفريقيا السوداء من جهة ثانية، إلى جانب استغلال الثروات الطبيعية لهذه المنطقة، وجعلها الممون الأول للمصانع الفرنسية التي تشكو نقصا فادحا في المواد الأولية خاصة الإستراتيجية منها.

حتى أن جول فيري قال : " إن قضية المستعمرات هي قضية الأسواق ". ولغاية استنزاف الأموال من المستعمرات الواقعة في جنوب الصحراء، أنشئ عدد من البنوك والشركات الاحتكارية الكبرى، التي تجد تأييدا ومساندة كاملة من الإدارة وأهمها: "بنك إفريقيا الغربية، والبنك التجاري الإفريقي، والشركة الفرنسية لإفريقيا الغربية، والشركة الصناعية التجارية الإفريقية، وجمعية التجارة لإفريقيا الغربية". (23).

كما أنشأت فرنسا الشركة الفلاحية والصناعية لصحراء الجزائر، التي سيطرت على حوالي 24000 نخلة، واستحدثت عدة أنواع من الضرائب، منها ضريبة تدعى " اللازمة" الخاصة بالجنوب والتي تخص أشجار النخيل.

كما اختلفت نظرة الفرنسيين حول أهمية الصحراء الجزائرية، فبعضهم كان يرى فيها كل الخير، وفي جميع المجالات ولا سيما في المستقبل البعيد، إلا أن استغلال الصحراء عملية مكلفة بشريا وماديا(ماليا)، لكن هذا لا يعد عائقا كبيرا ما دامت الجزائر تدفع

بثرواتها وضرائبها ولا يمكن إنهاك خزينة الدولة الفرنسية ما دامت خزينة الجزائر موجودة.

أما الصنف الثاني فيرى عدم جدوى استغلال الصحراء الجزائرية، بل يرى تكثيف المجهودات لاستغلال الشمال، ما دام المعمرون يتركزون هناك، ثم إن الصحراء إذا كانت صالحة في ميدان، فإنها غير صالحة في الميادين الأخرى، هذه الزاوية عبر عنها سول قائلا: "إن الصحراء لا تدر نفعا للقيام بالأعمال الأوربية في الميدان الفلاحي". (24).

ويبدو جليا من هذا، أن الاستعمار الفرنسي كان يعطي الاستثمار الصناعي في الصحراء الجزائرية أهمية أكبر لأن فرنسا غنية بمنتجاتها الفلاحية، وهي متأخرة في هذه الفترة صناعيا عن بريطانيا، ولذلك فهي (أي فرنسا) تريد أن تلتحق ببريطانيا في درجة التصنيع أو تتفوق عليها، ولذلك ركزت بالدرجة الأولى على الثروات الطبيعية، المعدنية والطاقة فيما بعد.

فهذا الاقتصادي الفرنسي بول ليروا p.leroy Beaulieu الحالم بإرجاع الصحراء الجزائرية، مشابهة لفرنسا أو لشمال الجزائر إذ يقول: "يتراءى لنا أن الصحراء الجزائرية على جانب كبير من الثروة المعدنية والمدخرات المنجمية المتنوعة". (25).

استعمل الفرنسيون جميع الوسائل لإستغلال الصحراء الجزائرية ومنها التنقيب عن الماء فهو عصب الحياة في الصحراء: "إن المستعمرين قاموا بمهمة التنقيب عن المياه وحفر الآبار في وادي ريغ والزيان (35.000 ل) في الدقيقة عام 1856، و (200.000 ل) في الدقيقة عام 1890 (278.000 ل) في الدقيقة عام 1924، (248.000 ل) في الدقيقة عام 1930، وتكثيف عدد النخيل وتضعيفه 15 مرة، كل هذا أدى إلى استنزاف المياه الباطنية" (26).

ومن جملة الوسائل التي استعملتها فرنسا لاستحواذها على الصحراء الجزائرية، مشروع ربط الصحراء الجزائرية بمجموعة من خطوط السكة الحديدية بشمال الجزائر، وأيضاً بالدول الإفريقية المجاورة للجزائر، وخاصة الجنوبية منها، ففي القرن التاسع عشر، بدأ هاجس استعمال وسيلة القطار لعبور الصحراء والاستفادة منه عسكريا واقتصاديا وتجاريا وحتى دينيا.

وفي هذا الصدد يقول بيار دونيس في كتابه: الجيش الفرنسي في الصحراء :

L'idée de faciliter la pénétration saharienne d'accroître le trafic commercial et de rauner en" particulier les richesses du sahara vers l'afrique du nord..." (27).

ونلاحظ هنا أن المستعمر الفرنسي يريد السيطرة على الحركة التجارية للصحراء والقضاء أو الحد من مشكل جفاف الصحراء، الذي انعكس بالسلب على المنطقة الشمالية ومنها ظاهرة التصحر، وزحف الرمال ناحية الأراضي الزراعية الخصبة في الشمال.

إن مشروع مد خط حديدي يربط شمال الجزائر بصحرائها: "سيضمن انتشار البضائع ومعها الحضارة الأوروبية". (28).

ومن دوافع احتلال فرنسا للصحراء الجزائرية، نشر الأفكار التنويرية للحضارة الأوروبية الغربية، لأنها -فرنسا طبعاً- تعتقد خطأ، أنها هي المسؤولة على تحضير العالم وتمدينه بصفة عامة والجزائر بصفة خاصة، وبما أن الجزائر تعيش تخلفاً متعدد الاتجاهات والجوانب فالأولى العمل من أجل التخلف ويتخلص منه نهائياً عل حد فهم المستعمر.

إن ثقافة الغير وحضارته تنقل إلى الطرف الثاني بعدة وسائل، منها الطرق التجارية السلمية، أو باستعمال القوة، أو بالتبشير الديني، إلى غير ذلك من الوسائل.

ولكن أي حضارة هذه التي تظهر قيمتها وتبنيها على جماجم الآخرين، وأي ثورة تدعي المساواة والإخاء والعدل وتعمل عكس ما تدعيه ؟.

2- فك العزلة عن الصحراء الجزائرية :

كلفت السلطات الفرنسية المهندس الفرنسي دوبونشيل "Duponchel" عام 1878 بمشروع مد السكة الحديدية نحو الجنوب، فأنشأت دراسة تمهيدية عن السكة الحديدية العابرة للصحراء" ووضع مليون فرنك ذهبي لثلاث بعثات دراسية الأولى برئاسة Poyanne ومهمتها رسم السكة برهان في اتجاه توات.

والثانية تحت إشراف Choisy لرسم الخط الرابط بين بسكرة وورقلة والقلعة والثالثة تحت رعاية الكولونيل Flatters يربط المدن الصحراوية بالمستعمرات الفرنسية وسط وغرب إفريقيا.

قدم وزير الأشغال العمومية الفرنسي تقريراً إلى رئيس الجمهورية عن ذات المشروع قائلاً: "إن السكة الحديدية سوف تربط الجزائر بالسنغال وستفتح سوقاً هائلة لمائة مليون من المستهلكين للمنتوجات الفرنسية". (29).

وهذا يدل على أن فرنسا كانت تعاني من تضخم الإنتاج، خاصة الصناعي منه، وتريد التخلص منه، وبإنشائها لهذا الخط، سوف يسهل من مهمة تصريف الإنتاج، في القارة الإفريقية لأن به طبقة إستهلاكية واسعة وسوقا تجارية مربحة لعرض منتجاتها المختلفة.

وكانت فرنسا قبل ذلك، قد أنجزت عدة خطوط للسكك الحديدية بشمال الجزائر، فكان أول خط حديدي تم فتحه أمام المسافرين: خط الجزائر-البليدة عام 1862، ثم خط البليدة-وهران 1871، ثم خط عنابة-قسنطينة 1871 إلى جانب خط الجزائر-قسنطينة عام 1886. ثم تفرعت عنها خطوط من الشمال إلى الجنوب ومن الشرق إلى الغرب، مثل الخط الذي أنشئ بين المحمدية إلى سعيده فبشار.

ومن الأسباب التي شجعت الاستعمار الفرنسي على مد خطوطه للسكك الحديدية بالصحراء الجزائرية، محاكاتها للولايات المتحدة الأمريكية التي: "أنجزت عام 1869 خطا حديديا يربط مدينة أوماها، على شواطئ المحيط الأطلسي، بسان فرانسيسكو، على شواطئ المحيط الهادي على مسافة 3000 كم". (30).

فرغم قساوة الطبيعة، ومصاعب الوسط الطبيعي الأمريكي، وخاصة امتداد سلاسل جبال الروكي الغربية، التي تعتبر حاجزا طبيعيا للاتصال بين الشرق والغرب، فإن الولايات المتحدة الأمريكية توسعت ناحية الغرب على حساب الهنود الحمر، ولإحداث توازن إقتصادي وبشري بين إقليم الشرق وإقليم الغرب اللذين يفصلهما خط طول 100° غربا.

كان مشكل التموين والتمويل هما اللذان شغلا تفكير الحكومة الفرنسية أثناء وجودها في الصحراء الجزائرية ففي رسالة مؤرخة بستة فيفري 1901، تحدث وزير الحربية إلى الجنرال الضابط للناحية 19 للجيش الجزائري فقال: "إمكانية إقامة جماعات أوروبية في الصحراء الجزائرية، ونعمل على إفراغ الواحات من أهلها، لا نترك إلا زعماء الأهالي إلى غاية الانتهاء من إنجاز السكة الحديدية الشيء الذي يسمح لنا باحتلال المنطقة في ظروف أقل تكلفة للميزانية لحل المشكل التكتيكي والتمويني". (31)

3- البحث عن الطاقة (المحروقات).

تكلم السيد F.Fock عن أهمية التجارة الصحراوية قائلا: "إن فرنسا لن تشرع في بناء السكة الحديدية في الصحراء إلا إذا تيقنت بهذا المشروع أنها تتجح في فرض هيمنتها التجارية على البلدان الخصبة الثرية، حتى تتمكن من توفير مورد جديد للصادرات

الفرنسية". (32). وازدادت أهمية الصحراء في عين فرنسا عندما اخترعت السيارة لأول مرة عام 1889م .

فكان لابد من البحث لها عن الوقود، حيث تضاعفت الشركات الفرنسية والأجنبية المنقبة عنه والباحثة عن كنوز الصحراء الدفينة في باطنها منذ الأزل.

فقامت بأبحاث في غليزان سنة 1913م، ومنطقة العلة وقسنطينة وسيدي عيسى عام 1917م وكل هذه الأبحاث باءت بالفشل إلا أن حلت الحرب العالمية الثانية واشتدت أزمة البترول (33).

يقول جوان غير ستر في كتابه "الصحراء الكبرى": "ويحس رجل الشارع العادي في باريس بشعور مزيج من الإجلال والاحترام بثروة الصحراء تتبع بين أصابعه في سلسلة متصلة من اللآلئ التي تمثل النفط والغاز الطبيعي والحديد والنحاس والمنغنيز والنيكل والفحم والملح، ولهذه الكلمات كلها رنة موسيقية في أذنيه وهو يخلط بين علم طبقات الأرض والاقتصاد فيرى الحقائق في الآمال ويتغاضى عن حقيقة النفقات الخيالية" (34).

في سنة 1958 كتبت إحدى المجلات الأسبوعية الفرنسية تقول: كانت العبارة السحرية في عام 1919 تردد " أن الألمان سيدفعون "وقد غدت الآن "أن الصحراء ستدفع". (35)

لقد اختلف الحلفاء في كيفية التعامل مع القضية الألمانية بعد الحربين العالميتين الأولى والثانية فكان يرى بعضهم سحقها وإزالة وجودها من الواقع بل من على الخريطة وهي نظرة فرنسية على الخصوص لما لها من حقد وكرهية، أما الطرف الثاني فكان متحفظا إتجاه طرح خيارات إما القضاء نهائيا على قوة ألمانيا وفي هذه الحالة تتسرب الشيوعية إلى داخل أوروبا وتنتصر وتبتلع الجميع الرافض والقابل لها وإما تقويتها ومساعدتها على النهوض لكي تكون سدا منيعا أمام المد الشيوعي الذي أقلق العالم آنذاك فكان الحل مع الخيار الأخير ولذلك تعتبر ألمانيا اليوم ثالث قوة اقتصادية في العالم بعد كل من الولايات المتحدة الأمريكية واليابان .

كتفت فرنسا من اكتشافاتها لمكونات الصحراء :ففي عام 1907م تم اكتشاف منجم القنادسة للفحم الحجري قرب كلومبشار اكتشفه فلانمند وبدأ استغلاله سنة 1917م.

وفي عام 1909 اكتشف كورتيه صورة حيوان مرسومة على جبال تاسيلي اعتقدها خطأ بأنها Bizoon لكن حقيقة أمرها هي مجموعة ثيران.

وكانت منظمات حكومية تعمل لاستغلال مناجم الصحراء : "مكتب الاستثمار في إفريقيا" و "مكتب البحوث الجيولوجية والمعدنية"، و "مكتب المعادن في فرنسا وعبر البحار". (36).

ففي سنة 1945 أنشأت فرنسا منظمة (دائرة الأبحاث عن البترول) وهو أن الحكومة الفرنسية تقدم الدعم المالي، والمعنوي، للشركات الراغبة في عملية البحث والتقيب، وعليه تأسست "الشركة الأهلية للبحث عن المواد البترولية واستغلالها في الجزائر".

4- أحلام فرنسا بعد اكتشاف البترول الجزائري :

كما يعتبر عام 1956م نقطة تحول هامة، في استكشاف البترول الجزائري وفي تاريخ الصحراء، بوجه عام وذلك باكتشاف حقل حاسي مسعود الذي أثار دويما في الأواسط البترولية في العالم (37). تعتبر سنة 1956 معجزة تدفق البترول في الصحراء لأنه ببساطة "الذهب الأسود".

وأعلنت أكاديمية العلوم للمستعمرات فيما بين عام 1924 و 1927 عن مسابقة كبرى في كيفية استثمار الصحراء لأجل طويلة من جميع النواحي (العلمية، والفنية، والمالية...) إلخ)

فنال المرتبة الأولى السيد E.F.Gautier بحصوله على أحسن جائزة السيد وكان موضوع بحثه : "هل يمكن أن تحل مشكلات الصحراء بعد أن تم غزوها وإخضاع سكانها". خاصة وأن الصحراء أصبحت الركيزة الأساسية للإقتصاد الفرنسي حتى أن السيد PEYRE قال:

" (38) Le sahara s annoncee deja comme une terre futurisme "

وكتب قوتي سنة 1929 مقالة في حوليات أكاديمية العلوم جاء فيها : "... فحينما كانت فرنسا تمثل دولة أو قوة كبرى عام 1927 كان استغلال الصحراء الكبرى يعد مسألة داخلية محضة، إلا أنها لم تعد كذلك الآن، لأن مورد فرنسا نفسها، قد أصبحت مستنزفة، أصابها الإعياء... " (39).

وهكذا حسب السيد /قواتي فإن فرنسا محظوظة حيث كتب عليها أنها إذا تعرضت مادة أولية، من المواد المختلفة وغير قابلة للتجديد، فإن فرنسا بهذا المنطق، تستطيع تجديد ثرواتها عن طريق المستعمرات التي تعمل على إفنائها ونهبها.

جاء على لسان غير ستر في كتابه دائما: "الصحراء الكبرى" متحدثا عن أهمية الصحراء الجزائرية قائلا: "لقد كانت الصحراء كالأميرة النائمة تنتظر من يوقظها من سباتها" (40).

وتدعينا لهذه الفكرة نتوقف قليلا لنستمع لأحلام، أحد أعمدة السلطة الفرنسية في الجزائر، وهو الحاكم العام "جون كامبون" الذي خاطب في أهل عين صالح طالقا العنان لتخيلاته اللامحدودة جاء فيه: "حسنا سنحفر في هذه الرمال؟ وسنمد فيها السكك الحديدية وأعمدة البوق، ونحفر الآبار الارتوازية ليندفع الماء إلى السطح، وسنسمع في الواحات صوت الديك الغالي، وهو يهتف في كل حين بصوته المنطلق بالسعادة من سقوف بيوت القصبة" (41).

فلقد ظهر الزيت أول مرة في "إيجلي" عام 1956 ثم في حقل "زارزيتين" عام 1958... إلخ.

وعندما أكتشف البترول الجزائري، أصبحت فرنسا تعد بإنجاز العديد من الإصلاحات الاقتصادية، الاجتماعية، والثقافية، مادام الذي يدفع الفاتورة هي الصحراء الجزائرية، بعائدات لبترولها، ومن بين هذه المشاريع، إقامة مصنع للفولاذ بعنابة الذي يعد أحد المقومات الأساسية لمشروع قسنطينة عام 1958، الذي نص أيضا على فتح مناصب الشغل، وبناء المدارس، والإصلاح الفلاحي،... إلخ.

وصف أحد الفرنسيين الصحراء "بأنها الإسمنت المسلح للتعاون الإفريقي الأوربي، إذ أنها المغناطيس القوي الذي يقرب إفريقيا وأوربا..." (42).

ففي سنة 1958 أصدرت فرنسا "قانون البترول"، الذي منح تسهيلات للدول الأجنبية لكي تقوم باستخراج بترول الصحراء الجزائرية، وغازها الطبيعي، وكانت فرنسا تهدف من اشتراك الغربيين بها، في نهب خيرات الجزائر إلى:

"ضمان تأييد الغرب لسياستها الإستعمارية في الجزائر، ورهن مستقبل الجزائر الذي تريده ورقة رابحة في مفاوضاتها المقبلة". (43).

إلا أن الحكومة الجزائرية المؤقتة صرحت في كثير من المرات بأنها لن تقبل بذلك وحذرت تحذيرا شديدا الدول المتهافئة على البترول والغاز الجزائري.

لقد صرحت الحكومة الفرنسية، "أنها مستعدة لإعطاء شريكها في النانو، حصة الأسد من بترول الجزائر..." (44).

هذا وتعتبر الصحراء الجزائرية، القاعدة الاقتصادية "التي تزود الغرب، بمواردها البترولية والغازية الضخمة، وخاصة بعد أن دخل البترول الروسي الميدان الدولي، كمزاحم للبترول الغرب الذي أهم مصادره، في أمريكا اللاتينية والشرق الأوسط". (45).

فكلفت الثورة الجزائرية، أو القضية الجزائرية، الخزينة الفرنسية، خسائر فادحة وببساطة لأنها لم تكن في نزهة في هذه البلاد، الشيء الذي انعكس بالسلب على وضعها الاقتصادي والاجتماعي، على الخصوص، خاصة عندما اندلعت ثورة أول نوفمبر 1954.

لذلك كله، ظهرت أصوات، داخل فرنسا تنادي بالكف عن إرسال أبنائها للحرب في الجزائر بل ذهبت إلى حد المطالبة بإنهاء الحرب التي كلفت السلطات الفرنسية غاليا. إلا أنه في سنة 1956، ظهر تيار، مضاد للتيار الأول، جاء رده كما يلي: "إذا كانت الحرب تستنزف قسما هاما من الخزينة الفرنسية، فإنها تضمن في الوقت نفسه، عن طريق تأمين الثروات الصحراوية (خاصة البترول) ليس فقط بتمويل هذه الحرب، بل وتحقيق ازدهار فرنسا واستقلالها الاقتصادي". (46)

ففي سنة 1957 بدأ الفصل بين الشمال والجنوب، على الأقل من ناحية التسيير والإدارة وأصبحت الصحراء يسيرها وزير يقيم في باريس، والشمال تابع لوزير يقيم في مدينة الجزائر وهذا حسب مرسوم 5 نوفمبر 1957.

إذا كانت فرنسا، قد حاولت دمج شمال الجزائر في فرنسا بوسائل عدة، منها تغليب العنصر الأهلي، وهي سياسة فاشلة، فإنها حاولت تطبيق هذه التجربة في جنوب الجزائر، ولكن هذه المرة بتوطين الآلات والأجهزة المختلفة، محل الإنسان الأوربي، إلا العدد القليل من العمال ولكن تحدي الجزائري، أولا والصحراء ثانيا، أبطل مفعول هذا الحلم الساذج.

IV- أهداف احتلال الصحراء :

كانت السلطات الفرنسية، تعتقد بأنها ستحل مشاكلها الاقتصادية على وجه التدقيق، إن هي وضعت يدها على خيرات الصحراء، ولهذا وجب فصلها عن الشمال لتكون قد حققت ثلاثة أهداف هي:

- 1- تأييد الرأي العام الفرنسي لفكرة استمرارية الحرب في الجزائر.
- 2- كسب تأييد الرأي العام العالمي، بعدم أحقية الصحراء في تقرير مصيرها، لكونها خالية من السكان.

3 - إيهام الرأي العام الإفريقي، بأهمية الصحراء لأنها تمثل (بحرا داخليا من الرمال). (47)

وبعد التأكيد الفعلي من مكنوزات الصحراء، بدأت السلطات الفرنسية تخصص غلفا ماليا للخدمات التجهيزية الصحراوية بعد سنة 1957، مادام الربح مضمونا من عائدات البترول والغاز الطبيعي خاصة.

إن أهمية الصحراء خاصة والجزائر عامة، دفعت بكلود كولو أن يقر بحقيقة تقول "بأن أغلب النفقات التجهيزية تؤخذ مباشرة من الميزانية الفرنسية التي خصصت للجزائر 170 مليار عام 1960، و207 مليار عام 1961، و181 مليار عام 1962، بينما كانت 72 مليار عام 1956" (48).

ومن أجل الاستغلال الجيد والسريع لخيرات الصحراء، قامت السلطات الفرنسية الإستعمارية "بإنشاء عاملتين خاصتين بالصحراء خاضعتين مباشرة لباريس وهما "الوحدات والساورة"، وإنشاء وزارة خاصة بالصحراء بقيادة "ماكس لوجات..." (49).

ومن أجل خلق النزاعات والحساسيات، بين الجزائر والدول الإفريقية المجاورة لها، بما فيها الدول العربية، رفعت فرنسا شعار "البحر الداخلي" الذي هو حق للجميع، دون أن تهيمن عليه دولة من الدول، وبهذه الطريقة، تكون تشكلت الملامح الأولى لما يسمى فيما بعد الاستقلال "بالإرث المسموم" ويعني به مشكل الحدود.

إلا أن الرؤساء الأفارقة، لم يقفوا في هذا الفخ، الذي حاولت نصبه لهم جميعا، ومن ذلك تصريح الرئيس السنغالي "سنغور" الذي قال فيه: "...نظرتنا كانت دائما تقضي، بأن حدود البلد المستقل، يجب أن تكون حدوده عندما كان مستعمرا.. إن هناك صحراء جزائرية، وصحراء مغربية، وصحراء موريطانية، وصحراء نيجيرية، وصحراء ليبية، وصحراء تونسية..." (50).

فكانت فرنسا تعمل جاهدة من أجل إيجاد "الجمهورية الصحراوية المستقلة"، وأصرت على تطبيقه بوسائلها الخاصة، ومنها استعمال أحد عملائها المسمى "حمزة بوبكر"، الذي اجتمع بالشخصيات المحلية، التي رفضت المشروع، مرة في الأغواط، ومرة ثانية في سانت أوجين، بضواحي الجزائر العاصمة" (51).

كانت فرنسا تحلم، بأن تغير الطابع الصحراوي للمنطقة بإنجازها لمشروع "البحر الداخلي الصحراوي" (52).

إن أهمية هذا المشروع، من الناحية الاقتصادية: "يسمح برفع منسوب المياه الجوفية في الشمال، وخلق مساحات واسعة خصبة للاستغلال الزراعي بالصحراء، ورفع نسبة الرطوبة في الجو، بفضل تبخر مياه هذا البحر، والزيادة في الأمطار... وفي الأخير خلق حاجز طبيعي قوي، ضد جو الصحراء القاسي" (53).

إلا أن وفاة رودر سنة 1883، وشدة المعارضة التي وجدها من قبل الجمعية الفرنسية لتقدم العلوم، وتكاليفه الباهضة، التي قدرت بحوالي 3 مليارات فرنك فرنسي قديم، كل هذه المعطيات عجلت بفشل هذا المشروع.

إلا أنه أعيد هذا المشروع إلى الحياة بعد مجيء الجنرال دوغول إلى الحكم لكن تحدي الصحراء كان أكبر من إرادة فرنسا كلها.

علما أنه في عام 1953 أخرج المشروع إلى الوجود، السيد تويس كيرفان، وينص المشروع على: " تحويل مياه نهر النيجر باتجاه الشمال ويمكن تجزئته إلى جزئين:

1- جزء يتجه إلى صحراء موريطانيا ليصب في الأطلسي

2- وجزء يتجه شمالا، من تاوودي، إلى عين صالح (54)، ومن هناك إلى شط ملغيع" (55).

الخاتمة:

كان الاستعمار الفرنسي استعمارا استيطانيا في الجزائر كلها من شمالها إلى جنوبها وبعد السيطرة الكاملة للمنطقة الشمالية التالية، استولت فرنسا على صحراء الجزائر ولم يكن ذلك بسهولة، بل وجدت مقاومة عنيفة من قبل سكان المنطقة.

وإذا أردنا الوقوف على النتائج المتوصل إليها في بحثنا هذا يمكن تلخيصها فيما يلي:

1- تسخير عائدات الصحراء في عملية خدمة الاستعمار الفرنسي والعمل على استمراريته وبقائه في الجزائر.

2- السيطرة على الطرق التجارية الصحراوية، واستثمار الأموال الفرنسية في مشاريع تخدم الاقتصاد الفرنسي بالدرجة الأولى، وجعل الصحراء خزاناً للمواد الأولية التي تمد المصانع الفرنسية بها.

3- بسط سيطرتها الكاملة على كامل الجزائر شماله وجنوبه.

4- استغلال الصحراء في الصناعات الحربية والتجارب النووية.

5- احتواء الثورات في إفريقيا وربط مستعمراتها الإفريقية الغربية والوسطى بمستعمراتها بإفريقيا الشمالية.

لقد استغلت فرنسا الصحراء الجزائرية لأغراض سياسية وعسكرية واقتصادية ودينية وعلمية وبنت عليها استراتيجيتها الاقتصادية والعسكرية وهكذا تكون فرنسا هي الدولة الوحيدة التي جربت قبلتها الذرية عام 1960 بمعينة إسرائيل خارج فرنسا وهذا سبب كاف لمعرفة أهمية الصحراء بالنسبة لمستقبل فرنسا .

الهوامش

1- ولد (1638-1715) وأصبح ملكا 1661م.

2- مدينة تجارية في القرن السادس عشر والسابع عشر، وهي عاصمة مملكة السنغاي في القرن 16-15

3- (1808-1873) إمبراطور فرنسا (1852-1870) خلع بعد هزيمته أمام ألمانيا سنة 1870، أنظر منجد الإعلام ط6، دار المشرق 1988 ص: 568.

4- واحة ليبية على الحدود الجزائرية، التونسية، لعبت دورا كبيرا في العصر الوسيط في عملية التبادل التجاري بين الشمال والجنوب الإفريقي.

5- إسماعيل العربي: تاريخ الرحلة والاستكشاف في البر والبحر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1986 ص: 311.

Henry Lhote: Le hoggar espace et temps "collection civilisation" Paris 1984p1992-

6- أصبح الشيخ عثمان دليلا للفرنسيين في الصحراء ومنهم دوفير، فقدم معلومات قديمة على التوارق، لذلك دعى سنة 1862 لزيارة العاصمة باريس والتقى بنابوليون III.

7- إسماعيل العربي: الصحراء الكبرى وشواطؤها، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1983 ص: 109. وفي 1876 بعثت فرنسا بحوالي ثلاثة مبشرين عبر الصحراء، إلا أن التوارق قتلهم، وهم الآباء بولمي وموريه وبوشاند.

8- إبراهيم مياسي: توسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري (1881-1912) منشورات المتحف الوطني للمجاهد 1996 ص: 77.

9- د/يحيى بوعزيز، الاستعمار الأوربي الحديث في إفريقيا وآسيا وجزر المحيطات، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1988 ص: 41.

10- إبراهيم مياسي: المرجع السابق ص: 77.

11- مج منهم إنداري نوشي: الجزائر بين الماضي والحاضر، ترجمة اسطمبولي، ومنصف عاشور ديوان المطبوعات الجامعية 1984 ص: 380.

12- أندري نوشي: بنفسه ص: 387.

- 13-د/يحي بوعزيز: اهتمامات الفرنسيين بجنوب الصحراء، مجلة الثقافة ع58(1980)ص: 58.
- أنظر أيضا عبد الله شريط ومحمد مبارك الملي: مختصر تاريخ الجزائر "السياسي والثقافي والاجتماعي" المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1985ص: 262، كثير من الكتاب نوهوا بشجاعة أهل الصحراء لمقاومتهم للأجانب، لذلك أراد المستعمر التخلص منهم.
- 14-د/عبد الله شريط، محمد مبارك الملي، نفسه، ص: 264.
- 15-Sonia E Howe : Les Héros sahara ,préface de marchall Iyautey P 60
- 16-د/يحي بوعزيز: طرق القوافل والأسواق التجارية بالصحراء الكبرى كما أوجدها الأوربيون في القرن التاسع عشر، مجلة الثقافة العدد 59(1980)ص: 15.
- 17-د/يحي بوعزيز: مجلة الثقافة المرجع السابق ع58 ص: 49.
- 18 -JOSEPH Peyre:De sable et d or sahara, Edt Flammarion ,Paris,1957,PP. 74-97.
- 19-د/عواطف عبد الرحمان: الصحافة العربية في الجزائر "دراسة تحليلية لصحافة الثورة الجزائرية" (1954-1962) المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1985ص: 120.
- 20-نفس المرجع ص: 121.
- 21- محمد الملي: مواقف جزائرية، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر (1984) ص: 29.
- 22-د/عبد الله شريط: المرجع السابق ص262-263.
- أنظر أيضا يحي بوعزيز: اهتمامات الفرنسيين الجنوب الجزائر مجلة الثقافة عدد58(1980)ص: 45.
- 23- إسماعيل العربي، الصحراء الكبرى، ص: 362. كما أسس الاستعمار الفرنسي في الصحراء
- ZOIA Zones D Organisation Industrielle Africaines. و B.A.T.I.M: Bureau Africaines de Traveaux Industrielles Militaires. Joseph Peyre , Op-cit P 202.
- 24- أندري نوشي، المرجع السابق ص: 390.
- 25- نفسه ص: 399. للمؤلف Leroy كتاب هام، الصحراء والسودان وطرقات مناجم الحديد الصحراوية . أنظر أيضا إبراهيم مياشي: المرجع السابق ص: 84.
- 26- أندري نوشي: المرجع السابق ص: 401.
- 27-Pierre Denis:L'Armée française au sahara de Bonaparte a1990 Paris 1992.p:36
- 28-اسماعيل العربي: تاريخ الرحلة ص: 330.
- 29-نفس المرجع ص: 329، 331.
- 30- نفسه ص: 330. أنظر أيضا جوان غيرستر: الصحراء الكبرى أرض الغد المشرق للجزائر العربية، تر: خيرى حماد، 1961، ص: 257.
- 31- Denise:op-cit p:78 .
- 32-أندري نوشي: المرجع السابق ص: 394.
- 33-نفسه ص: 251.
- 34-جوان غيرستر، مصدر سابق، ص: 195.
- 35-نفسه ص: 195.
- 36-نفسه ص: 202.

- 37- نفسه ص: 202-203.
- 38- Joseph Peyre , Op-cit P 199 .
- 39- أحمد قاسي، البترول الجزائري- قصة كفاح ورمز وانعتاق، مجلة الجيش، عدد 343 سنة 1992، ص: 30.
- 40- ريمون فيرون، الصحراء الكبرى، ترجمة د/جمال الدين الدناصورى، بمراجعة د/نصري شكري القاهرة 1963 ص: 16.
- 41- جوان غيرستر، المرجع السابق ص: 216.
- 42- نفسه ص: 250.
- 43- نفسه ص: 324.
- 44- أيفه بريستير، في الجزائر يتكلم السلاح، نضال شعب من أجل التحرير، الجزائر 1989 ص. 167.
- 45- د/عواطف عبد الرحمان، المرجع السابق ص: 120.
- 46- محمد الملي، مواقف جزائرية ص 28.
- استعمل دوغول هذه الفكرة في بيانه الشهير بتاريخ 16 سبتمبر 1959، فإن استراتيجية دوغول تتمثل في كسب تأييد الدول الأوربية في اعتبار "الصحراء الفرنسية" ومعناه استمرارية الحرب.
- 47- نفسه ص: 29. تحصلت الحكومة الفرنسية على شبه إجماع، من طرف جميع الفعاليات السياسية، بضرورة التمسك بالصحراء، لذلك جاء قرار من البرلمان الفرنسي بتاريخ 10/01/1957 القاضي بفصل الصحراء عن الشمال.
- 48- Claude collot: Les institutions de l'Algérie durant la période coloniale 1830-1962. C.N.R.S - Paris et o.p.u. Alger 1987 p 241.
- 49- عمار قليل: ملحمة الجزائر الجديدة، الجزء الثاني، ط1 (1991) ص: 38. فلقد حكمت الصحراء ثلاث حكومات متتالية.
- 50- نفسه ص: 39. علقت المجاهد على ذلك إن جميع الأحلام الفرنسية بخصوص الصحراء ستبخر أمام المدفع الإفريقي.
- 51- نفسه ص: 39-40.
- 52- بعد نجاح فرديناد دي ليسبيس في حفر قناة السويس 1859 والتي فتحت للملاحة العربية في عام 1869 فضل أن يقوم بذات المشروع في الجزائر، فتم تحديد أحواض الجريد التونسي، كنواة لهذا البحر الداخلي، الذي يربط خليج قابس بتونس، وهذا الأخير يصل بشط نجاح، وشط الغرسة بتونس، وبدورهم يوصلون بشط ملغنيغ، وشط عسلوج، ومنخفض وادي ريغ وحوض إيغرغر، وشط الحضنة، والشط الشرقي، والشط الغربي، والشط الشرقي الكبير، كل هؤلاء بالجزائر (الرجاء العودة إلى خريطة تونس والجزائر) تمس إلى هذا المشروع ووضع خطته "Le Commandant الفرنسي فرانسوا رودير". وحسبه أنه بإنجاز هذا المشروع الطموح والضخم، الذي يسهل عملية التوسع، والاستغلال الإقتصادي لإمكانيات الصحراء المادية والبشرية، للمزيد أنظر د/يحي بو عزيز: مجلة الثقافة ع58، ص: 53.
- 53- نفسه ص: 56. أنظر أيضا جوان غيرستر: المرجع السابق ص: 337.
- 54- جوان غيرستر: نفس المرجع، ص: 340.